باب الإدغام الكبير من الشاطبية

تعريف الادغام :

لغة : الإدخال (إدخال شئ فى شئ) ومنه أدغم اللجام فى فم الفرس إذا أدخله فيه

اصطلاحًا:

التعريف الأول : قال الشيخ الضباع فى كتاب الإضاءة فى أصول القراءة:

الإدغام هو : التلفظ بساكن فمتحرك ، بلا فصل ، من مخرج واحد

شرح التعريف :

- التلفظ بساكن فمتحرك : يدخل فيه المظهر (منْ ءامن)، والمدغم (من يعمل)، والمخفى (كنتم)
- بلا فصل : أى ينطق بالحرفين دَفعة واحدة ويخرج به المظهر والمخفى حيث يحدث فصل بسيط
- من مخرج واحد : يخرج به المخفى لأنه من مخرجين (مخرج الغنة والحرف المخفى عنده)

التعريف الثانى : قال الإمام ابن الجزرى :

الإدغام هو : النطق بالحرفين حرفًا واحدًا كالثانى مشددًا

وعلى هذا فالإدغام ليس إدخال حرفٍ فى حرف بل هما ملفوظ بهما بلا فصل وغاية الأمر لما خلط المدغم فى المدغم فيه صارا كأنهما حرف واحد

فائدة الادغام :

- تخفيف اللفظ لثقل النطق بالحرفين المتفقين فى المخرج (قالَ لَـهم) أو المتقاربين (تبينَ لَـه)

أقسام الادغام :

١- صغير ٢- كبير ٣- مطلق ومايخصنا فى هذا الباب هو الادغام الكبير:

وهو أن يكون أول الحرفين فيه متحرك ثم يسكن للادغام أى فيه عملان (تسكين – إدغام)

سبب تسميته كبير:

١- لأن فيه عمل زائد عن الصغير حيث أن الحرف الأول منه ساكن أصلاً

٢- لكثرة وقوعه فى القرآن الكريم أكثر من الصغير

٣- لما فيه من الصعوبة

٤- لأنه يشمل المثلين والمتقاربين والمتجانسين

أسباب الإدغام:

١- تماثل ٢- تجانس ٣- تقارب

فالتماثل هو:أن يتفق الحرفان مخرجا وصفة (وهذا ينطبق على جميع الحروف عدا حرفى المد)

نحو : (فيهِ هُدى)

والأصح أن نقول التماثل هو أن يتفق الحرفان فى الاسم والرسم ليسرى على حرفى المد

نحو: (يأتِـىَ يَوم)

شرط الإدغام :

أن يلتقى الحرفان خطاً ولفظاً - أو خطاً لا لفظاً

١- إلتقاء الحرف المدغم بالمدغم فيه خطًا ولفظاً نحو : (مناسكَكُم ، قالَ لَهم)

فإذا فصل بينهما فاصل فى الخط ولو كان هذا الفاصل لا ينطق وصلاً فيمتنع الادغام حينئذ نحو :

- (أنـا نـذير) فبالرغم من عدم وجود فاصل لفظى بين النونين المحركين فامتنع الادغام لوجود فاصل خطى بينهما وهو الألف

٢- إلتقاء الحرفين خطًا لا لفظًا نحو : (إنهُ وهُو) حيث أن حرفى الهاء المحركين بينهما صلة وحكمهما الادغام ، وهذه الصلة لفظية ولا يعتد بها ويأتيها عوارض فتحذف أحيانا نحو:(لهُ الملك)

قال الإمام الشاطبى رحمه الله :

وَدُونَكَ الإِدْغَامَ الْكَبِيرَ وَقُطْبُهُ أَبُو عَمْرٍ والْبَصْرِيُّ فِيهِ تَحَفَّلاَ

دونك: اسم فعل أمر بمعنى خذ (أى خذ أيها الطالب باب الادغام الكبير)

ويسميها علماء النحو واللغة ألفاظ الإغراء

قطبه : سيده (أى الذى يدور أمره عليه) لأن قطب القوم هو سيدهم الذى يدور عليه أمرهم

تحفلا : اجتمع (يقال تحفل اللبن فى الضرع إذا اجتمع فيه – وتحفل القوم إذا اجتمعوا فى محفل

و المعنى : اجتمع الادغام الكبير لأبى عمرو البصرى فهو قطبه الذي يدور أمر الادغام عليه

مسألة هامة :

هل الادغام الكبير لأبى عمرو البصرى براوييه ؟؟

- ذكر الإمام الدانى فى التيسير ما يفيد أن الادغام الكبير لأبى عمرو البصرى من روايتيه فقال فى العنوان [باب ذكر بيان مذهب أبى عمرو فى الادغام الكبير] ولم يذكر السوسى فقط
- وذكر الإمام ابن الجزرى الادغام الكبير فى الطيبة لأبى عمرو البصرى بكامله بخلف عنه بل صرح ابن الجزرى فى تحبير التيسير فى التعليق على كلام الدانى فقال:

قلت فلهذا أخذ بالادغام من رواية السوسى لأنه لم يذكر فيما تقدم من إسناده قراءة أبى عمرو أنه أخذ عليه بالادغام إلا رواية السوسى وبهذا كان يقرئ الشاطبى وكل من أخذ طريقه

- وذكر الإمام أبو شامة فى كتاب إبراز المعانى فقال :

والإظهار والادغام كلاهما مروى عن يحيى اليزيدى عن أبى عمرو من طريق الدورى والسوسى وغيرهما ، ولم أرى بعد فى كتاب تخصيص رواية السوسى بذلك عن الدورى وقد كان الإمام الشاطبى يقرئ به من طريق السوسى فقط

- ونقل الإمام السخاوى عن الشاطبى أنه كان يأخذ بالادغام للسوسى وبالاظهار للدورى
- وقال الدكتور إيهاب فكرى فى تصحيحه لهذا البيت:

وَدُونَكَ الإِدْغَامَ الْكَبِيرَ وَخُصَّهُ بِسُوسٍ عَلَى مَا الشَّاطِبِى فِيه تَلاَ

*والأدلة على ذلك :

أن الشاطبى رحمه الله ذكر فى باب الهمز الساكن أن من يبدله بشروط معينه هو السوسى عن أبى عمرو ولم يتعرض لذكر الدورى فتحصل من ذلك أن الدورى يقرأ بتحقيق الهمز الساكن ومما هو متقرر عند أهل الأداء والأسانيد فى كل عصر أن الادغام الكبير لا يجتمع التحقيق بل لابد من الابدال حتى يتم الادغام وقال فى ذلك الإمام ابن الجزرى فى الطيبة :

إِذَا الْتَقَى خَطَّا مُحَرَّكَانِ مِثْلاَنِ جِنسَانِ مُقَارِبَانِ

أَدغِم بِخُلفِ الدُّورِ والسُّوسى مَعَا لَكِن بِوَجهِ الهَمزِ والمدِّ امنَعَا

*** والذى عليه العمل الآن وورد فى الشاطبية هو الأخذ بالادغام للسوسى والاظهار للدورى**

وهذا يقودنا إلى سؤال هام :

لماذا صرح الشاطبى بذكر أبى عمرو كله رغم أنه كان يقرئ بالادغام للسوسى وبالاظهار للدورى ؟

الجواب :

١- أن الشاطبى رحمه الله اتبع فى تسمية الباب أبا عمرو الدانى فالشاطبى كان مختصرا لكتاب التيسير والبيت الأول فى هذا الباب هو عنوان الباب

٢- لوحصر الشاطبى الادغام للسوسى فقط فسيأتى أشخاص بعد ذلك ينسبون الشاطبى للجهل

٣- الشاطبى فى بعض الأحوال يعبر بالقارئ ولكنه يريد الراوى فمثلاً :

يقول فى باب الإمالة: وَخَلَفُهُمُ في النَّاسِ في الْجَرِّ حُصِّلاَ

وقالوا فيها أن الإمام الشاطبى لا يقصد أبا عمرو بكامله إنما يقصد هذا الخلف عن أبى عمرو لأن راوييه اختلفا عنه فاللدورى الإمالة وللسوسى الفتح

ويقول فى باب ياءات الإضافة :

وَتَحْتَ النَّمْلِ عِنْدِيَ حُسْنُهُ إِلَى دُرِّهِ بِالْخُلْفِ وَافَقَ مُوهَلاَ

والذى حققه العلماء أن الخلاف فيه عن ابن كثير موزع فالبزى يقرأ بسكون الياء وقنبل بفتحها

وينقسم هذا الباب إلى قسمين هما :

١- ما وقع فيه الحرفان المتماثلان فى كلمة واحدة

٢- ما وقع فيه الحرفان المتماثلان فى كلمتين بأن يكون الحرف الأول فى آخر الكلمة الأولى والحرف الثانى أول الكلمة التالية

أولا : القسم الأول

قال الإمام الشاطبى :

فَفِي كِلْمَةٍ عَنْهُ مَنَاسِكَكُمْ وَمَا سَلَكَكُمْ وَبَاقِي الْبَابِ لَيْسَ مُعَوَّلاَ

قال الإمام أبى شامة:

الأولى أن يقرأ (مناسكَكُم) في هذا البيت من غير إدغام لأنه إن قرىء مدغما لزم ضم الميم وصلتها بواو وليست قراءة السوسى ولا غيره هكذا فطالما يأتى سكون الميم يفك الادغام

شرح البيت :

حصر الناظم هذا القسم في كلمتين اثنتين فقط هما {مناسكَكُم } (البقرة: ٢٠٠) ، {سلكَكُم} (المدثر: ٤٢) فيقرؤهما السوسى بالادغام

ثم قال الناظم وباقي الباب ليس معولا أي إدغام باقي الباب ليس معولا على ماسبق فمثلا قوله تعالى: (بأعيننا وأتعداننني وجباههم ووجوههم وبشرككم) روى أنه لا إدغام فى هذه الكلمات مما يؤكد أن الأصل هو الرواية والتلقى

ثانيًا : القسم الثاني

قال الإمام الشاطبى :

وَمَا كَانَ مِنْ مِثْلَيْنِ في كِلْمَتَيْهِمَا فَلاَبُدَّ مِنْ إدْغَامِ مَا كانَ أَوَّلاَ

كَيَعْلَمُ مَا فِيه هُدًى وَطُبِعْ عَلَى قُلُوبِهِمُ وَالْعَفْوَ وَأمُرْ تَمَثَّلاَ

شرح البيتين :

أي وما وجد من هذا القبيل وهو التقاء مثلين في كلمتين فلابد من إدغام الأول في الثاني إلا ما يأتي استثناؤه ويلزم من ذلك أن يكون أحدهما آخر كلمة والآخر أول كلمة بعدها ثم ضرب أمثلة توضيحية لذلك توفرت فيها الشروط : وهى ثلاثة أنواع

وذلك أن الحرف المدغم إما أن يكون قبله متحرك أولا فإن كان فمثاله (يعلمُ مَا) (وطبعَ عَلى) ،

وإن لكان ساكنا فإما أن يكون حرف مد أو لا فإن كان فمثاله (فيهِ هُدى) ،

وإن لم يكن حرف مد فهو حرف صحيح ومثاله (خذ العفْوَ وَأمر)

سؤال هام :

هل كل الحروف الهجائية وقع بعدها مماثلها فى القرآن الكريم أم أنها حروف معدودة ؟

الجواب :

هذا النوع من التماثل وقع فى (١٧) حرف فقط كما أشار إلى ذلك الشيخ الضباع

يالأئمى غيرت مهجـــتى كم تعنفنى بقـــــلة همـــــتى

نعيت ربعا فارقوه سادتى ونحت عليهم ثم حارت قصتى

نحو ـ ﴿يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ ـ ﴿لاَّ قِبَلَ لَهُم﴾ ـ ﴿يَبْتَغِ غَيْرَ﴾ ـ ﴿الرَّحِيمِ مَالِك﴾ ـ ﴿إِنَّكِ كُنت﴾ ـ ﴿الشَّوْكَةِ تَكُونُ﴾ ـ ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾ ـ ﴿فِيهِ هُدًى﴾ ـ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ ـ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ ـ ﴿خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ﴾ ـ ﴿النَّاسَ سُكَارَى﴾ ـ ﴿الْعَفْوَ وَأْمُرْ﴾ ـ ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ﴾ ـ ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ـ ﴿النِّكَاحِ حَتَّى﴾ ـ ﴿الرِّزْقِ قُلْ﴾ ـ.

موانع الادغام :

قال الإمام الشاطبى :

إِذَا لَمْ يَكُنْ تَا مُخْبِرًا أَوْ مُخَاطَبٍ أوِ الْمُكْتَسَي تنْوِينَهُ أَوْ مُثَقَّلاَ

كَكُنْتُ تُرَابًا أَنْتَ تُكْرِهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَأَيْضًا تَمَّ مِيقَاتُ مُثِّلاَ

وَقَدْ أَظْهَرُوا فِي الْكَافِ يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِذِ النُّونُ تُخْفَى قَبْلَهَا لِتُجَمَّلاَ

شرح الأبيات :

ذكر الناظم أن موانع الادغام أربعة وهذا

يعنى: أن المثل الأوّل يدغم فى الثانى، إلا إذا كان الأوّل تاء مخبر، نحو ـ ﴿كُنتُ تُرَابًا﴾ أو تاء مخاطب نحو ـ ﴿كِدتَّ تَرْكَنُ﴾ ـ ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ﴾ ـ أو منونًا نحو ـ ﴿ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ـ أو مشددًا نحو ـ ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ﴾ ـفلابد من إظهاره فى هذه الأحوال.

وهناك مانع آخر ولكنه خاص بموضع واحد فى سورة لقمان وهو (فلا يحزنك كفره)

أى أظهر أهل الأداء عن السوسى الكاف فى قوله تعالى ـ ﴿فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ ـ وإنما لم يدغموها لأن النون تخفى قبل الكاف، والإخفاء كالإدغام، فتكون بمنزلة الحرف المشدد، وتقدم: أنه لا يدغم، ولأجل أن تجمل الكلمة ببقائها على صورتها.

واستكمالا للباب

ذكر الناظم المواضع المختلف فيها بين الادغام والاظهار للسوسى فقال :

وَعِنْدَهُمُ الْوَجْهَانِ في كُلِّ مَوْضِعٍ تَسَمَّى لأَجْلِ الْحَذْفِ فِيهِ مُعَلَّلاَ

كَيَبْتَغِ مَجْزُومًـا وَإِنْ يَـكُ كـاذِبـاً وَيَخْلُ لَكُمْ عَنْ عَالِمٍ طَيِّبِ الْخَلاَ

شرح الأبيات :

وعندهم : أي عند أهل الأداء عن السوسى

الوجهان : أى الإظهار والإدغام في كل موضع التقى فيه مثلان بسبب حذف وقع في آخر الكلمة الأولى بسبب الجزم أو البناء وقد يكون المحذوف حرفا أو حرفين ،

فمن نظر إلى أصل الكلمة فيظهر إذ لم يلتق في الأصل مثلان

ومن نظر إلى الحالة الموجودة بعد الحذف فيدغم ويعتبرها من باب التماثل

ثم ذكر الناظم الأمثلة وهى ثلاثة مواضع :

(ومن يبتغِ غـَير الإسلام دينا) من سورة (آل عمران) أصلها (يبتغي) بالياء فحذف للجزم وعلامة الجزم حذف حرف العلة فصارت (يبتغ)

(وإن يكُ كـَاذبا) من سورة (غافر) ، أصلها (يكون) فسكنت النون للجزم فحذفت الواو لالتقاء الساكنين ثم

حذفت النون تخفيفا فهذه الكلمة حذف منها حرفان ،

(يخلُ لـَكم وجه أبيكم) من سورة (يوسف) ، أصلها (يخلو) بالواو وإنما حذفت جوابا للأمر وقوله

عالم طيب الخلى : حسن الحديث وقيل : هو (السوسى أو أبو عمرو البصرى أو يحيى اليزيدى) وقال السخاوى هما (الشاطبى وأبو عمرو الدانى)

ثم ذكر الناظم مسألة تتعلق من حيث الحذف لا من حيث أن للسوسى فيها وجهان فقال :

وَيَا قَوْمِ مَالِي ثُمَّ يَا قَوْمِ مَنْ بِلاَ خِلاَفٍ عَلَى الإِدْغَامِ لاَ شَكَّ أُرْسِلاَ

وهذان الموضعان هما : (يا قومِ مـَالي أدعوكم إلى النجاة)-(ويا قوم مَن ينصرني من الله) ليس للسوسى فيهما إلا الإدغام بلا خلاف

وأوردهما الناظم بسبب أن بعض الناس يعتقد أنه من باب المعتل لأن أصلها (يا قومي) بالياء ثم حذفت كـ(يبتغى) ، ولكن كلمة (يا قوم) الياء فيها محذوفة من باب تعدد اللغات بخلاف الحذف الذى وقع فى الفعل المضارع ، وكذلك أنها ليست من أصل الكلمة بل زائدة فهي ضمير أرسلا : أى أطلقا على الإدغام بلا خلاف

ثم ذكر الناظم مسألة أخرى فقال :

وَإِظْهَارُ قَوْمٍ آلَ لُوطٍ لِكَوْنِهِ ... قَلِيلَ حُرُوفٍ رَدَّه مَنْ تَنَبَّلاَ

بِإِدْغَامِ لَك كَيْدًا وَلَوْ حَجَّ مُظْهِرٌ ... بِإِعْلاَلِ ثَانِيهِ إِذَا صَحَّ لاَعْتَلاَ

فَإِبْدَالُهُ مِنْ هَمْزَةٍ هَاءٌ اصْلُهَا ... وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ وَاوٍ ابْدِلاَ

شرح الأبيات :

وَإِظْهَارُ قَوْمٍ :عنى بالقوم أبا بكر بن مجاهد وغيره من البغداديين منعوا إدغام اللام فى اللام من قوله تعالى (آلَ لـُوط) حيث وقع وقالوا لقلة حروفه وهو في الحجر والنمل والقمر

مقال الإمام أبو شامة : (ولا أعلم ما معنى قولهم إنه قليل الحروف فإنهم إن عنوا به أنه في الخط حرفان فلا اعتبار بالخط وإنما الاعتبار باللفظ وهو باللفظ ثلاثة أحرف فهو مثل (قالَ لَـهم) فكما يدغم قال يدغم آل لأنه مثله وعلى وزنه فيمنع هذا التعليل من أصله ويرد على قائله)

رده من تنبلا : يعني به صاحب التيسير وغيره أي من صار نبيلا في العلم

ثم رد الناظم هذه العلة فبين أنه لاخلاف على إدغام (لكَ كَيدا) في سورة يوسف فكلمة (لك) أقل حروفا من (آل) لأنه على حرفين

ثم قال ولو حج مظهر : أي ولو احتج من اختار وأراد أن يذكر حجة سائغة بأن ثاني حروف (آل) قد أعل مرة بعد مرة والإدغام إعلال آخر فلم يدغم خوفا من أن يجتمع على كلمة قليلة الحروف تغييرات كثيرة لصح له الإظهار

سؤال : هل إذا احتجوا علينا كنا سمعنا كلامهم ؟

الجواب : لا حيث قال الشاطبى إِذَا صَحَّ لاَعْتَلاَ : أى إذا صح فيه نقل وتواتر

والحاصل أنه لم يثبت من طريق الشاطبية والتيسير إلا الادغام

ثم بين إعلال ثانيه (الألف) فقال : إبدال الألف من همزة أصل تلك الهمزة هاء يعني هذا القائل أن أصل الكلمة (أهئل) فأبدلت الهاء همزة (ءَأل) فاجتمعت همزة ساكنة بعد همزة مفتوحة فوجب قلبها ألفا

قال الإمام أبو شامة : (وهذا القول وإن اعتمد عليه جماعة فهو مجرد دعوى وحكمة لغة العرب تأبى ذلك إذ كيف يبدل من الحرف السهل وهو الهاء حرف مستثقل وهو الهمزة التي من عادتهم الفرار منها حذفا وإبدالا وتسهيلا على ما عرف في بابه)

وقد قال بعض الناس : يعني أبا الحسن بن شنبوذ وغيره إن ثاني (آل) أبدل من واو وهذا هو الصحيح الجاري على القياس ، فيكون أصل الكلمة (أوَل) فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا

ولم يذكر الشاطبي رحمه الله هذا القول حجة للإظهار إنما ذكره ليعدد الأقوال فى أصل الكلمة

ثم ذكر الناظم مسألة أخرى فقال :

وَوَاو هُوَ الْمَضْمومِ هَاءً كَهُو وَمَنْ فَأَدْغِمْ وَمَنْ يُظْهِرْ فَبِالْمَدِّ عَلَّلاَ

وَيَأْتِيَ يَوْمٌ أَدْغَمُوهُ وَنَحْوَهُ ْ وَلاَ فَرْقَ يُنْجِي مَنْ عَلَى الْمَدِّ عَوَّلاَ

شرح الأبيات : واو (هُو) المضموم أي الذي ضمت هاؤه نحو (هُوَ وَجنوده) ،

احترز بذلك عما سكنت هاؤه في قراءة أبي عمرو وهو ثلاثة مواضع ، (فهْوَ وَليهم بما) بالنحل - (وهْوَ وَليهم اليوم) بالأنعام - (وهْوَ وَاقع بهم) بالشورى ، ولا خلاف في الإدغام فيهم

وقول الشاطبي ومن يظهر فبالمد علل : أى إذا كان قبل الواو المدغمة ضمة وجب إسكان الواو للإدغام فتصير حرف مد والمد يمنع الإدغام وهذا خطأ ورد الناظم وقال:

أن هذا الفريق أدغم الياءين بلا خلاف في (يأتيَ يَوم) وهى نفس الحالة لأن ما قرره في الواو موجود مثله في الياء

ولا فرق ينجي من على المد عولا : أى لا فرق بين الواو المدية والياء المدية حتى ينجى المفرق الذى عول على المد بإظهار(هُوَ وَجنوده)والحاصل أن فيها الادغام قولا واحدا من طريق الشاطبية للسوسى

ثم ذكر الناظم مسألة أخرى فقال :

وَقَبْلَ يَئِسْنَ الْيَاءُ فِي اللَّاءِ عَارِضٌ سُكُونًا أَوَ اصْلاً فَهُوَ يُظْهِرُ مُسْهِلاَ

شرح البيت:

أفاد الناظم أن قوله تعالى (واللائي يئسن من المحيض) فى سورة الطلاق والتى يقرؤها أبو عمرو (اللائْ يـَئسن)، يمتنع فيها الادغام وعلل ذلك بأن الياء عارضة وسكونها عارض كذلك ولكن المحررون قالوا أنها بعيدة عن باب الإدغام الكبير فالياء الأولى ساكنة فلأصحاب الياء (أبوعمرو البصرى والبزى عن قنبل) وجهان :

الادغام : من قبيل الادغام الصغير ، والاظهار : من قبيل عروض الحرف وحركته (السكون) ويلزم مع الاظهار سكتة لطيفة.

معلمة القراءات (أم المحتسبات)